رواية هذا العدد :

محاسن الصدف

(رواية حقيقية حدثت وقائعها فى نفر الاسكندرية عام ١٨٩٩)

روى المرحوم الياس شامه الحلبي مصور الزيت المشهور بالاسكندرية قال :

في ذات يوم من أيام صيف عام١٨٩٩ بينما كنت في معملي الكبير بالاسكندرية دخل علي سائح أميركي وقال لي : « لقد رأيت في المنشية بجوار تمثال محمد علي (جد الاسرة العلوية) فتياً مصرياً مرتدياً ملابس رثة فمالت نفسي الى ارتداء ملابسه الفذرة الرثة وأخذ صورة زيتية عنها » . وكان الاميركي يكلمني باللغة الانجليزية وترجمانه يترجم لي كلامه. فقلت له « وهل تريد أن تشتري ثوباً رثاً ترتديه وأصورك به؟ » قال : « نعم واريد أن اشتري اثواب الرجل نفسه الذي اعجبني شكله » . قلت : « واين هو الآن ؟ » قال : « تركته هذه الساعة بجوار تمثال محمد علي فاذهب معي واشتر لي ملابسه » فضحكت في سري من غرابة فكرة الرجل وسرت معه والترجمان تالتنا فوجدنا ذلك الفقير لم يزل مكانه فدنوت والأميركي والترجمان وسألته : « هل تبيع ياعم ملابسك » ؟ وكان الرجل على فقره شرساً وقد حسبني اهزأ به فشتمني بقوله : « ايه الكلام الفارغ بتاعك ده . اذهب من هنا والا لطمتك لطمة تهتز منها الاسكندرية كلها » . فضحكت وقلت له : « خفف عنك ولا تشتم فاني مجد . وما رأيك لو أخذتك واشتريت لك ثياباً جديدة بدلا من ثيابك الرثة هذه »؟ فالقى علي نظرة حادة وقال : «انك لا تزال تضحك مني : فلعنك الله ولعن هذا الصباح الذي رأيتك فيه فاذهب عني ودعني وشأني » : قلت له : « حقاً انك مجنون ابله . سر معي لتتحقق صدق قولي » : فسار الفقير معي والاميركي والترجمان يتبعاننا حتى اذا وصلنا السوق اشترينا ملابس جديدة . وعدنا كلنا الى معملي حيث نزع الفقير ملابسه الرثة وارتدى الجديدة وهرول مسرعا وهو غير مصدق بهذه الصفقة الرابحة : اما الاميركي فطلب مني ان تكون الصورة بطول

متر وعشرة سانتيمترات وعرض سبعين سانتيمترا . واتفقنا على الثمن واشترط عليَّ ان انهي الصورة في خلال خمسة عشر يوما . فأجبته الى طلبه واشترطت عليه أن يأتيني كل يوم ويجلس ساعة بين يدي فقلت : « لك ذلك ياسيدي » فنزع ملابسه وارتدى ملابس الفقير الرثة وتظاهر بالذل والمسكنة وقال : « ابدأ بالعمل من هذه الساعة » فامتثلت وجئت بلوحة بيضاء، وجعلت أرسم عليها الخطوط الابتدائية والأميركي واقف أمامي لا يبدي حراكا »

* * *

وبينما أنا مجد في عملي دخل علي صديق سوري لا أريد أن أذكر اسمه الحقيقي فلندعوه جورج . وقال لي بلهفة: « لقد رضي صاحبنا أن يزوجني من ابنته عندما أملك ثلاثة آلاف جنيه وأمهلني سنتين لاجمع ذلك المبلغ . وانت تعلم ان الحصول على مثل هذا المبلغ في خلال سنتين ضرب من المحال لاسيما وان عملي في الاسكندرية ضعيف ومرتبي ضئيل وقد صحت عزيمتي على السفر الى السودان التي فتحها كتشنر باشا حديثاً . فاما أن اهلك في هاتيك الصحاري او اوفق الى الحصول على مثل هذا المبلغ فأعود واقترن بمن احب »

وكان جورج هذا من عائلة وجيهة نبيلة في حلب وقد تربى في احضان النعمة والترف . وهو لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره هاجر الى مصر طلبا للرزق بعد ان اختى الدهر على اسرته بموت ابيه وضياع ثروته وكتب اليَّ بعض اصحابي يوصوني به . فهمني امره وخفت من هذه المجازفة التي دفعه اليها الغرام وزرق الشباب. فقلت له : « اني لا اسمح لك بركوب هذا المركب الخشن والافضل ان تأتيني في الغد لأتحادث معك مليا في هذا الأمر » . وعدت الى عملي فأكملت الخطوط الأولية وطلبت من صاحبي الاميركي أن يأتيني في الساعة العاشرة من صباح الغد .

* * *

وفي صباح اليوم التالي أعدت النظر في خطوط صورة الاميركي . فأصلحت فيها ما يجب اصلاحه . وما كادت تنتصف الساعة التاسعة حتى جاءني أحد رجال البوليس يدعوني لمقابلة سعادة المحافظ . فحاولت استمهاله الى الظهر

فرفض وأصرّ على ذهابي معه في الحال . فاستأذنت وأشرت الى معاوني بأن ينتظر للاميركي عن تغيبي . أما المحافظ فكانت دعوته لي لأرسم له صورة زيتية لشخصه واستصحبني معه الى أحد مصوري الفوتوغراف حيث أخذ صورته على الشكل الذي أردته . ثم عدت أدراجي الى معملي فوجدت الاميركي ينتظرني وهو بتلك الملابس الرثة ووجدت صديقي جورج أيضا فقلت له أن يأتيني بعد الظهر . والتفت الى الاميركي فوجدته يضحك فخفت أن يكون ضحكه استهزاء بي لتأخري عن الموعد الذي ضربته له وقلت له : «عفواً ياسيدي فنحن هنا لسنا نظيركم في أوربا وأميركا » قال : « وكيف ذلك ؟ » قلت : « انكم في بلادكم تقدرون أن تحافظوا على مواعيدكم حتى لو طلبكم الحكام . أما نحن فبالعكس فقد كنت صباح اليوم في معملي فجاء أحد رجال البوليس يدعوني بالذهاب الى المحافظة من غير أن يعرف السبب فطلبت منه امهالي الى الظهر فأبى فاضطررت الى المسير معه فاذا المحافظ يريد عمل صورة زيتية لنفسه وساقني معه الى محل التصوير الفوتوغرافي لأخذ صورة له فامتثلت مكرهاً وهذا هو سبب تأخري . »

فقال الاميركي: «لقد عذرتك ياصاح» فشكرته وملت الى عملي. فاستوقفني وقال « ولكن قل لي . من هذا الشاب الذي كان عندك الساعة ؟ قلت له: «أنه احد مواطني المهاجرين الى مصر » قال : « ما اسمه ؟ » قلت: « اسمه فلان » فأخرج مذكرة من جيب ردائه وكتب اسمه وقال : « وما هو عنوانه ؟ » قلت : « كذا » . فكتبه وعجبت في سري من اهتمام الاميركي به وقلت في نفسي : « وهذه ايضا من جملة غرائب الاميركان » قلت : « سأفعل هذا ولكن بعد ان نعمل عملنا لأني اراك معنياً بهذا الشاب القذر . » وقال الاميركي بعد ذلك: «وما يطلب منك هذا الرجل وهل لك ان تقص علي قصته ؟ قال : « لا يهمك ذلك فدع التصوير الآن وحدثني حديث الرجل » فقلت موجزاً :

ان جورج هذا من وطني وهو وحيد والديه وقد مات ابوه في السنة الماضية بعد أن نكب بفقد ماله واذ كان مجال الرزق ضيقاً في بلدنا هاجر الى الاسكندرية وزوّده بعض أصحابي بكتاب توصية لي . فاعتنيت بأمره وأدخلته مستخدماً في أحد المحلات

له فما انتصح وتركني وشأني وهو في يأس والظاهر ان غرامه حبب اليه الحياة التجارية بمرتب ستة جنيهات في الشهر واذ كان ذكياً نشيطاً انصرف الى تعلم اللغة الانجليزية في الليل على أمل أن يجد له وظيفة في الحكومة المصرية . ولكن ظهر لي فيما بعد ان الذي حمل جورج على تعلم اللغة الانكليزية والسعي الى خدمة الحكومة ليس فقط حب الارتقاء والكسب بل دافع الغرام اذ علمت مؤخراً انه أحب فتاة تقيم في الاسكندرية ومع ان أباها غير ميسور لم يرض ان يزوجه منها بل طرده من منزله بعد أن علم بحبه لابنته وحب ابنته له . فجاء ووسطني في الأمر فنصحت له أولا بالعدول عن مسألة الزواج الآن ربما يتوفق الى عمل يستطيع معه أن ينفق على عائلة فبكى وجعل يندب سوء حظ الفقير حتى جرح قلبي وقال اذا كان فقري يحول دون زواجي بمحبوبي مالكة فؤادي فاني سأنتحر لامحالة وأنشد

وأمرّ مالاقيت من ألم الهوى قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

فرثيت لحال هذا الشاب الذي ملك الغرام فؤاده وقرأت في عينيه لوائح الاصرار على الانتحار اذا فشل فأشفقت على شبابه وقصدت صاحب المحل الذي يخدم عنده وبحت له بالأمر سراً فتأثر وقال ان الشاب ذكي نشيط ولكن ما في استطاعتي أن أعمل لخدمته وقلت أن تزيد له مرتبه الشهري. قال انه يتقاضى الآن ستة جنيهات فاذا تزوج زدتها الى عشرة فشكرت للرجل مروءته وقصدت من ساعتي والد الفتاة فقابلته على انفراد وذكرت له غرام جورج بابنته فأرغى وأزبد وقال تباً لهذه المدنية التي أوسعت المجال لمثل هذا الشاب الفقير حتى يدخل بيتي ويلعب بعقل البنت الجاهلة التي منذ علمت برفض زواجها من جورج انصرفت الى الانزواء في غرفتها وامتنعت عن الطعام وأني لأخاف عليها من معضل الامراض وقد جرى كل هذا بحكم التمدن وتساهلي وغباوة امرأتي لعنها الله فجعلت اخفف عليه الامر وحاولت استنزال شفقته ولكن كنت كالكاتب على صفحات الماء أو كمن يخاطب الجماد . وقد قال لي بصوت الجازم اذا لم يملك جورج خمسة آلاف جنيه فمن المستحيل أن أزوجه ابنتي ولو ماتت ورأيته منتحراً . فخرجت من عنده يائساً وأخبرت جورج بما تم وجعلت أوالي نصائحي

فاخذ يفكر في طريقة يصل بها الى حبيبته فقد جاءني البارحة وأخبرني بان حبيبته عرفته بان أباها يرضى بزواجه منها اذا كان يملك ثلاثة الاف جنيه وأمهلته سنتين وانها قالت له بانها ستحافظ على عهد الحب ولا ترضى زوجا سواه وقد تشاكيا في اجتماعهما الهوى ووعدها بأنه سيركب متن الاخطار في سبيل الحصول على الثروة فتعانقا والدموع تجري من عيونها وانشدت الفتاة قائلة

سألت الله ينقل مابقلبي ... الى قلب علي اليوم قاسي
ويحرقه بنار الحب حتى ... يقاسي في المحبة ماقاسى

وقد رأى جورج ان يسافر للسودان بعد ان تم فتحه واستئصال دولة الدراويش منه في هذا العام على أمل ان يحالفه الحظ ويجمع المبلغ المطلوب وهذه الرحلة غير مأمونة العقبى وقد ذهب كثيرون قبله وهلك اكثرهم بالحميات الفتاكة وفي عزمي ان ابذل كل مجهود في لاقناعه بالعدول عن هذه المجازفة »

وكان الاميركي يصغي الى حديثي بكل انتباه ورأيت علائم التأثر بادية على محياه ثم سألني قائلاً : ما اسم الفتاة وابيها ؟ قلت « كذا » فكتبهما ثم قال اذا كان عندك وقت فاشتغل » فأخذت اشتغل في صورته ولما انهيت عملي انصرف من عندي بعد ان وعدني بالحضور غداً .

٥٥٥

وفي عصر ذلك اليوم جاءني جورج فقلت له : « ماحكايتك مع هذا الفقير الذي كان عندي؟» قال لاشيء غير أني كلمته بالعربية فما أجاب فكلمته بالانجليزية فعرفت منه أنه في كل زيارة يقضيها عندك ثلاث ساعات تدفع له أجراً عليها ثلاثة قروش وانه شاكر لك اذ لا يكسب طول يومه من التسول اكثر منها فرثيت لحاله لاني رأيت عليه آثار النعمة فقلت لعله مثلي أبن عائلة ميسورة وقد أخنى عليه الدهر . ولم يكن معي سوى جنيه واحد وخمسين قرشا وهو المبلغ الباقي عندي من مرتبي وباقي لآخر الشهر ثلاثة أيام فقلت في نفسي ان الخمسين قرشاً تكفي لتقتي الى أول الشهر وفتحته بالجنيه لعل الله يفرج كربتي كما تفرج كربته فتقبله مني شاكراً .فهل أسأت بعملي هذا اليك؟» قلت « كلا ولكن وضعت احسانك في غير محله فان الرجل من كبار أغنياء الامير كان

وملابسه ملابس الفقر وتصويره بها الا من غرائب أحوال الاميركان وهوسهم وميلهم الى التلاهي والمجون وقد أخذ منك الجنيه وهزىء بك ».فقال جورج: « انبا والله لاحدى العبر ولا أخاله الا أنه سيرجع الي الجنيه »

ثم حاولت اقناع جورج بالعدول عن السفر الى السودان وبينت له صعوبة النجاح في تلك البلاد القاحلة لان أهاليها خارجون الآن من ويلات حكم المهدي وهم أفقر من الفقر ثم استطردت الكلام الى مسألة غرامه فوقفت منه موقف العذول وحاولت جهدي أن أرجعه الى هداه لانه لايزال في مقتبل الشباب وأنه سيرى أفضل من حبيبته جمالا وحسنا وربما يتوفق الى عروس من ذوات اليسار فلم يعر كلامي التفاتا وانصرف من عندي وهو مصمم على السفر !..

٥٥٥

وفي اليوم التالي جاءني الاميركي على عادته ولم يذكر لي شيئا عن جورج وأنا خجلت بدوري أن أخبره بأني وقفت على ماجرى له معه

ولكن في مساء ذلك اليوم جاءني جورج وهو يكاد يرقص طربا ودفع الي غلافاً مفتوحا ممنونا باسمه ففتحته ووجدت فيه خطابا انجليزيا وتحويلا على بنك الكريدي ليونيه فقلت له ماهذا ؟ قال انه خطاب من صاحبك الاميركي واليك ترجمته :

حضرة المحترم الخواجه جورج ...

أتشرف أن أقدم لحضرتك ولحضرة حبيبتك الآنسة ماري تحويلا بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه كهدية لكما في يوم زفافكما الذي أرجو أن يكون بعد خمسة عشر يوما في فندق سان استيفانو ونفقات حفلة العرس على حسابي المخلص

ج . م . رايد

٥٥٥

قال اتياس شامه راوي هذه الرواية :

لقد دهشت ووقفت حائراً الا أنني لم أستغرب هذه النفحة من ذلك الاميركي الكريم لانا سمعنا عن غرائب الاميركان ما يحير العقول فشاركت جورج بسروره. وهرولت معه مسرعاً الى والد ماري وهذا لما رأنا عبس ولكنه ابتسم عند ما رأى

التحويل وكان أول مهنى، لجورج بكريته واستدعاها مع أمها وزف لها نبأ البشرى فكان السرور عاماً

وبعد خمسة عشر يوما زفت ماري لجورج في فندق سان اسيفا والشهير وكانت الحفلة شائقة رائقة. وكان سرور الاميركي بجمعه بين العاشقين اكثر من سرورهما

في عالم الثيوصوفية

نجم جديد في المشرق

كريشنامورتي او مسيا الجديد

اشتهرت السيدة آني بيزانت - وهي من أقطاب الجمعية الثيوصوفية - (١) بنشر دعايتها في الشرق والغرب بقرب ظهور (المسيح الجديد) الذي سيمثل - على رأيها - في بجيته - الثاني جميع القبائل السمراء كما مثل في بجيته الاول القبائل البيضاء . وقد أعلنت ذلك على صفحات المجلات وفي خطبها ومؤلفاتها . وأخذت منذ عام ١٩٠٩ في تهذيب صبيين من الهندوس (من أسرة كريشنا مورتي) زاعمة بأنه قد أوحي اليها ان الكبير منهما قد اصطفى لحلول المسيح فيه وظهوره بين العالم. وسيشرع في الكرازة والتعليم حين بلوغه سن الرشد . فلما أدرك الخامسة عشرة كتب بحث عنوان : « عند قدمي المعلم » رسالتين قالت عنها السيدة بيزانت : « انها نزلتا عليه تنزيلا . وان الناس لعاجزون عن أن يأتوا بمثل ما فيهما من قوة الحجة والحكم البالغات . » ! . . . . ولقد ذكروا في وصف مؤلف الرسالتين انه شاب وسيم المحيا . وضاح الجبين . صائب الرأي . وعلى جانب عظيم من الفصاحة والبيان حتى ليخيل لسامعيه ان ما ينثره من الدرر « ان هو الا وحي يوحى » ! . . .

وقررت الجمعية الثيوصوفية في ٢٨ دسمبر (كانون أول) ١٩١١ ان شخصية

---

(١) الثيوصوفية مذهب ديني وضع للوصول الى معرفة الله بما يرى في الطبيعة . ورفع النفس على سبيل التطور والارتقاء لتتحد به تعالى . واما معتقدات الثيوصوفيين فليس هنا محل تفصيلها . وقد نأتي بها في فرصة أخرى